ولِـهَذا نَقُول إِذَا عطِس العاطس وقال: الحمدُ لله. نَقُول له: يرحمك الله[1].

فلو رَدَّ عَلَى العاطس وقال: يرحمنا ويرحمك الله. لَوْ قالـها هَكَذا قلنا: أنتَ مُبتدع؛ لِأَنَّ المَشْرُوع أَنْ تقول: يرحمُك الله، فكيف تأتي بِهَذَا الدُّعَاء مِن عندك، والرَّسُول ﷺ عَيَّنَ ما يُقال.

وعندما أقول: يرحمك الله. ماذا يقول؟

بَعْضُ العامَّةِ يَقولُون: يَهدينا ويَهديك الله. هُم يَقولُون: ابدأ بنفسِك. فماذا نَقُول؟

نقـول: هـو دعا لك وحدَك وقـال: يرحمُك الله، فكيف تدعو لنفسِك أولًا ثم له ثانيًا، أعطاك دُعَـاءً خاصًّا فأعطِه دُعَـاءً خاصًّا، قـل: يهديكُم اللهُ ويُصلِح بالَكُم.

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إِثْباتُ أَنَّ للعُمُوم صيغةً تَعُمُّ جميع أفرادِه، وَإِنْ شئت فقل: إِنَّ صيغةَ العُمُوم تَشمل جميعَ أفرادِه، الدَّلِيل قَوْله: «**إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لله صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

لكن: هل يَدُلُّ عَلَى جميع أفرادِه نصًّا أوظَاهِرًا؟

الجَوَاب: ظَاهِرًا؛ لِأَنَّ النصَّ عَلَى جميع أفرادِ العامِّ مُتعذر، فتكُون دلالتُه عَلَى الشُّمولِ دلالةً ظَاهِرةً، وليستْ نَصًّا، بِدَلِيلِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ عندك وعاءٌ فِيهِ -مثلًا- دَرَاهِمُ، الأَصْلُ أَنَّ هَذَا الوعاءَ مملوءٌ بالدراهم، لكنْ قد يَكُونُ غيرَ مملوء، فألفاظُ العُمُومِ هَكَذا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، رقم (٦٢٢٤).

فالأَصْلُ أَنَّ ألفاظَ العُمُوم وعاءٌ لجَمِيع المعاني، ولذَلِك كَانَ في ألفاظ العُمُوم ما يُراد به الخاصُّ، مثلُ قولِه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، هل المَقْصُودُ جميعُ النَّاسِ في مشارق الأَرْضِ ومغاربِها؟ لا، وَإِنَّمَا هُم قريش، فالحَاصِلُ أَنَّ العامَّةَ يَشْمَلُ جميع أفرادِه، يَكُون بالظَّاهِر.

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ ادَّعَى خُرُوجَ شَيْءٍ مِن أفرادِ العامِّ فعلَيْه الدَّلِيل، ما دمنا قلنا: إِنَّ العامَّ يَشْمَل جميعَ الأفراد.

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل يَجُوز حِينَما نَذكُر أحدَ العُلَمَاءِ أَنْ نَقُول: رحمنا اللهُ وإياه؟

الجَوَاب: حِينَما نقرأ في السير نجد مثلًا: قال الفضيلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال سفيانُ الثَّوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال الإِمَامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فَهَلِ النَّاسُ يَقولُون: رضي الله عنَّا وعنه، أو رحمنا الله وإياه؟ لا، أنتَ تريد أَنْ تَرُدَّ جميلَ المؤلِّف، فكيف تبدأُ بنفسِك، فما دام هَذَا الدُّعَاءُ بِسَبَبٍ فاخصُصْه بصاحب السَّبب، فقل: قال المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَهَذَا هوالَّذِي كنا نعرفه مِن علمائنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: بَعْضُ النَّاسِ إِذَا قيل له: بارك اللهُ فيك؛ قال: وإياك. فَهَلْ هَذَا الرَّدُّ صَحِيح؟

الجَوَاب: نعم صَحِيح، لكنْ (وفِيكَ) أنسبُ للمُطابقة.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: وما تقدير الكَلَام في (وإياك)؟

الجَوَاب: تقديرُ فعلٍ مَحْذُوف، تقديره: وأعطاكَ إياك، أو أعطاهُ إياك.

١٢٦- عنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

الشَّرْح

قَوْله: «**أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً**»، «أَلَا» أداةُ تحريض، والفرقُ بين التحريضِ والعرض، أَنَّ العرضَ طلبٌ برفق، والتحريضُ طلبٌ بِحَثٍّ، فهو أشدُّ إلحاحًا مِن العرْض.

ومِن العرضِ قولُ سيدِنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذَّاريات:٢٧]، عرض علَيْهم عرضًا، أي طلبًا برفق.

«**أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً**»، والهدية ما يُعطاه الشَّخْصُ تَوَدُّدًا وتحبُّبًا، ثم بين هَذِهِ الهدية، أَنَّ النَّبي ﷺ خرج علَيْنا فقلنا: «**يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ**»، وذَلِك فيما علَّمَهم إياه في التَّشَهُّد: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**».

قَوْله: «**فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟**»، أي لِأَنَّ اللهَ أمرَنا أَنْ نُسَلِّم عَلَيْك، وأنْ نُصليَ عَلَيْك، فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وفي لفظ: «**فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، رقم (٣٣٧٠)، مسلم: كتاب الصَّلاة، باب الصَّلاة على النبي ﷺ بعد التَّشَهُّد، رقم (٤٠٥).

صَلَّيْنَا عَلَيْكَ فِي صَلَاتِنَا»[١].

قَوْله: «قَالَ: «فَقُولُوا»، الأَمْرُ هنا للإِرْشَاد؛ لأَنَّه جوابٌ عن سؤال، فيكُون للإِرْشَاد، إِذْ إِنَّ السَّائلَ مُسْتَكْفٍ ومُسترشد، فَإِذَا جَاءَ الجَوَابُ بالأَمْرِ كَانَ الأَمْرُ للإِرْشَادِ، وَلَيْسَ للوُجُوب.

وقَوْله: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»، «اللَّهُمَّ» أي يا الله، ولكنْ كَيْفَ انقلبتْ «يا الله» إِلَى «اللَّهُمَّ»؟

قَالُوا: إِنَّهَا حُذفتْ مِنها ياءُ النِّدَاء، وعُوِّضَ عنها الميم، وَإِنَّمَا حُذفت ليَكُونَ الابتداءُ باسم اللهِ تَعالَى أولًا وقَبل كلِّ شيْء.

ولا يُجمع بين الياءِ واللَّهُم، إِذْ لا يُجمع بين العِوَضِ والمعُوَّض، ولكنْ قد يَأْتِي شاذًّا في النظم، كَمَا قَالَ ابْنُ مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]:

والأَكْثَرُ اللَّهُمَّ بالتَّعْوِيضِ وَشَذَّ يَا اللَّهُمَّ فِي قَرِيضِ

أي في النَّظْم.

قَوْله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّلَاةُ مِن الآدميينَ الدُّعَاء، ومِن المَلائِكَةِ الاستغفار، ومِن اللهِ الرَّحمَة.

فإِذَا أُخبر الإِنْسَانُ أَنَّ اللهَ صَلَّى عَلَى نَبيِّه، فالمَعْنَى أَنَّهُ رَحِمَه؛ وَإِذَا جاءَ الخبرُ عنِ المَلائِكَةِ أَنَّهم يُصَلُّون عَلَى المُؤمِنينَ، فالمَعْنَى أَنَّهم يستغفرون لهم؛ وَإِذَا قلت: صليتُ عَلَى فلان، أي دعوتُ له، لِقَوْلِ الله تَعالَى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التَّوْبَة:١٠٣]. فكان النَّبي ﷺ

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨٢٢، رقم ١٧٢٠٠).
(٢) ألفية ابن مالك (ص:٥٠).

يدعو لهم، وَهَذَا هو المشهورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ، لكن فِيهِ نظر؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالَى قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة:١٥٧]، فعطَف الرَّحمَةَ عَلَى الصَّلَاة، والعطفُ يَقْتَضِي المغايَرة، وألا تَكُونَ الكلمتانِ بمعنًى وَاحِدٍ، وعلى هَذَا فليُضرَبْ لِلصَّلَاةِ معنًى آخَر.

وقد ذكروا عَن أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قال: «**صَلاةُ الله: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلائِكَةِ، وَصَلاةُ المَلائِكَةِ الدُّعَاءُ**»[1]. أي ثناؤه عَلَيْهِ عند المَلائِكَةِ في الملأ الأَعْلَى، ومِن المَعْلُوم أَنَّ هَذَا التَّفْسِير يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ؛ لأنَّه خَبَرٌ عَنْ أَمْرٍ غيبيٍّ، والخبرُ عَنِ الأَمْرِ الغيبي لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عن طريق الوحي، ولم يثبُتْ عَنِ النَّبي ﷺ أَنَّهُ فسَّرَ الصَّلَاةَ بثناءِ الله عَلَى العَبْدِ في الملأ الأَعْلَى.

لكنْ كأنَّ أبا العاليةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذَه مِن المَعْنَى؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ أخصَّ مِن الدُّعَاء، فرأى أَنَّ مِن أفضلِ الإثباتِ أَنْ يُثنيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى العَبْد، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ ثناءَ اللهِ عَلَى العَبْدِ أهمُّ مِن الثَّواب الحِسي، قول اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البينة:٧-٨]، فبدأ بالثَّناءِ علَيْهم، لِأَنَّ الثَّناءَ أعظمُ مِن الثَّوابِ الحسي.

وقَوْله: «**وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»، سَبَق أَنَّ المُرَادَ بالآل هُمُ الأتباع عَلَى الدِّين، إلا إِذَا قُرِنَ بالأتباع عَلَى الدِّين؛ فَإِنَّهُ يَكُون المُرَادُ بِهِ المُؤْمِنِينَ مِن قَرابةِ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقَوْله: «**كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم**»، «**كَمَا صَلَّيْتَ**» الكافُ هنا للتَّعْيِين، أي كما أَنَّك صليتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبراهيمَ سَابقًا؛ فنسألُك أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ لاحقًا.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا: كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٤].

وقَوْله: «**إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، حميد: أي حامدٌ وبمَعْنَى محمود، فهو جَلَّوَعَلَا حامدٌ لمن يستحقُّ الحمد، وهو محمودٌ لكمالِ صِفَاتِه، ومحمودٌ أي يَحْمَدُه الخَلق.

والمجيدُ اسم فَاعِل، أوصِفَةٌ مشبَّهة، أي في المَجْد، والمجدُ هوالعظمةُ والسلطان.

وقَوْله: «**وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»، أي أَنْزِلْ فيهم البَركةَ في العُلُومِ والأموالِ وغيرِها، «**كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ**».

مِنْ فَوَائِدِ الحَدِيثِ:

الفَائِدَةُ الأُولَى: عرضُ الْعِلْمِ عَلَى طالبِ الْعِلْم، ووجهه أَنَّ كَعْبَ بْنَ الأشرفِ عرضَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى أَنْ يُعلِّمَه.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: استعمالُ ما فِيهِ التَّشْوِيقُ في إيصالِ الْعِلْمِ إِلَى الطَّالب، «**أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً**»؛ لِأَنَّ هَذَا يُشَوِّق، فإِنَّه إِذَا قيل للإِنْسَان: أُهدي إليك هديةٌ، فلا بُدَّ أَنْ يشتاقَ ويَشْرَئِبَّ.

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ التَّعْلِيمَ يُسمَّى هدية، وعلى هذا، إِذَا علَّمْتَ أَلْفَ نَفَرٍ -مثلًا- فقد أهديتَ إِلَيْهم، وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ هدية المال؛ لأنَّها تبقى، ويَكُونُ فِيهَا صَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: حِرصُ الصَّحابَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عَلَى الْعِلْم؛ لأنَّهم سألوا النَّبي ﷺ أَنْ يُعَلِّمَهم كَيْفَ يُصلُّونَ علَيْه.

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: طلبُ الكشفِ عَنِ الْمُجمل؛ ليتمكنَ الإِنْسَانُ مِن التنفيذ عَلَى الوجه المَطْلُوب، والمجملُ قولُه تَعالَى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٦].

الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: التوصلُ للشَيْء بنظيرِه، لِقَوْلِهم: «**عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ**»، أي ويَنْقُصُنَا أَنْ نَعْرِف كَيْفَ نُصلي.

الفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: حرصُ النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى تعليمِ أُمَّتِه أكملُ ما يَكُون، لِقَوْلِه: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**»؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصيغةَ أكملُ ما يَكُون مِن الصِّيغ، وإلا فيكفي الإِنْسَانُ أَنْ يقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد.

الفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: التَّوسُّلُ بأَفْعَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لقولِه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**».

واعْلَم أَنَّ التَّوَسُّلَ في الدُّعَاء له أَنْوَاع:

النَّوعُ الأَوَّل: التَّوَسُّلُ إِلَى الله بأسمائه: إِمَّا تَفْصِيلًا، وإِمَّا إجمالًا، فَإِنْ كَانَ تَفْصِيلًا فليكنِ الاسم مطابقًا للسؤال، وَإِنْ كَانَ إجمالًا فهو عامٌّ.

مِثَالُ الإجمال: قولُه: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[1]، هَذَا توسلٌ بالأَسْمَاءِ عُمُومًا.

ومِثال التَّوسُّلِ بالاسم الخاصِّ المُنَاسِبِ للمَطْلُوب، قولُ الرَّسُولِ ﷺ فيما علَّمه أبوبكر: «**اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[2]، والدَّاعي يدعو الله فيقول: يا غفُور اغفِر لي، فَهَذَا توسلٌ إِلَى الله باسمٍ من أسمائه مُنَاسِب للسؤال.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٢، رقم ٤٣١٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠، رقم ٢٩٣١٨)، والطبراني (١٠/ ١٦٩، رقم ١٠٣٥٢)، وصححه الحاكم (١/ ٦٩٠، رقم ١٨٧٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الدُّعاء قبل السلام، رقم (٨٣٤)، ومسلم: كتاب الذكر والدُّعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٥).

النَّوعُ الثَّانِي: التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعالَى بِصِفَاتِه: مثل قولِك: «يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[(١)]، فَلَيْسَ المَعْنَى أَنَّك تستغيثُ بالرَّحمَة؛ لِأَنَّ الاستغاثةَ بالرَّحمَة عَلَى أَنَّها هي المُغيثةُ شِركٌ وكُفر، ولكنك تستغيث بالله متوسلًا إِلَيْه برحمتِه؛ ومِنه أيضًا دُعَاءُ الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»[(٢)]، فَهَذَا مِن التوسُّل بالصِّفَة.

النَّوعُ الثَّالِث: التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعالَى بأَفْعَالِه: وَهَذَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلِ المتوسَّل بِه مطابقًا للسؤال، ومِنه مَا فِي هَذَا الحَدِيث: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» فَهَذَا توسلٌ إِلَى الله بأَفْعَالِه.

النَّوعُ الرَّابع: التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعالَى بالإِيمَان بِه: ومِن ذَلِكَ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٦]، فهنا توسُّلٌ إِلَى الله بالإِيمَانِ أَنْ يغفرَ ذُنوبَهم.

النَّوعُ الخامس: التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعالَى بالأَعْمَالِ الصَّالحة: ومِنه توسلُ أَصْحَابِ الغار، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، باب عقد التسبيح باليد، باب منه، رقم (٣٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدُّعاء عند الاستخارة، رقم (٦٣٨٢).

أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1].

النَّوعُ السَّادس: التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعالَى بِحَالِ العَبد: مِثل أَنْ تقول: اللَّهُمَّ إني فقيرٌ فأَغْنِني، جاهلٌ فعلِّمني، ضَعِيفٌ فقوِّني؛ ومِنه قول موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، ووجه كونِ ذَلِكَ توسلًا، أَنَّ ذِكْرَ حالِ المرءِ تفويضُ العَبْدِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهَذَا سببٌ لإِجابَة الدُّعَاء.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي، رقم (٢٢١٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدُّعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، رقم (٢٧٤٣).

النَّوعُ السَّابع: التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعالَى بدُعاءِ الرَّجُلِ الصَّالح: أي بِأَنْ يدعُوَ لك، ومِنه أَنَّ رجلًا أتى إِلَى النَّبي ﷺ وقال: «هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا»[1]، فَهَذَا توسلٌ إِلَى الله بدُعَاء الرَّجُل الصَّالح.

لكنْ إِنْ طلبتَ مِن الرَّجُل الصَّالح أَنْ يدعوَ لك، إِنْ كَانَ لعُمُوم المُسْلِمينَ فلا بَأْس؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الإِحْسَان إِلَى الدَّاعي والمدعو له، مِثَالُه الحَدِيث الَّذِي ذكرنا «فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا»، فهو لعُمُوم المُسْلِمينَ، فلو أتيتَ إِلَى رجُلٍ صالحٍ تَتَوَخَّى أن تُجابَ دعوتُه؛ فقلتَ: ادعُ اللهَ تَعالَى بِنَصْرِ المجاهدين، ادعُ الله تَعالَى بالغَيث للمُسْلِمينَ، فَهَذَا طيبٌ ومأثورٌ وسُنة.

وإِنْ كَانَ الدُّعَاءُ لك خاصَّةً، فَهَذَا لا يَنْبَغِي إلا للنبي ﷺ؛ لِأَنَّ النَّبي ﷺ قد أُمِنَ جانبُه أَنْ يغترَّ بذَلِك، ولأنَّ إِجابَةَ دعائِه قريبةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ مضمونة، ومِن ذَلِكَ أَنَّ النَّبي ﷺ لـما أَخبر أَنَّ مِن أُمَّتِه سَبعين ألفًا يدخلون الجنَّةَ بلا حسَابٍ ولا عذاب؛ قَامَ عَكَّاشَةُ بنُ مُحصن وقال: «ادْعُ اللهَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»[2]، فدعى له وقال أنت منهم.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل مِن ذَلِكَ دُعَاءُ المُسْلِمينَ للميت؟

الجَوَاب: لا، دُعَاءُ المُسْلِمينَ للميت شفاعةٌ، وَلَيْسَ وسيلة؛ لِأَنَّ الميتَ لم يطلبْ مِنهم أَنْ يدعُوا له حَتَّى نَقُول: إِنَّهُ توسلٌ بدعائِهم.

فهَذِهِ سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ كلُّها جائزةٌ ومَشْرُوعَة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المَسْجِد الجامع، رقم (٩٦٧)، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدُّعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يَكْتَوِ، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم: كتاب الإِيمَان، باب الدَّلِيل على دخول طوائف من المُسْلِمينَ الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢٢٠).

لكنَّ التَّوسُّلَ إِلَى اللهِ تَعالَى بالأموات مِثل: أسألُك بحُرمةِ فلان، أو جاهِ فلان، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِك؛ فَهَذَا توسلٌ بِدْعِيٌّ لا يَجُوز، لا فَائِدَة مِنه؛ فَإِنَّ كونَ هَذَا الَّذِي تتوسل بِه مِن أولياء الله حيًّا، أوميتًا لا ينفعُك.

والوسيلةُ لَا بُدَّ أَنْ نعلمَ أَنَّ لـها أثرًا في حصول المَطْلُوب لأنَّها وسيلة، وجاهُ الولي، أو جَاهُ النَّبي لا ينفع شيئًا؛ لِأَنَّ الجاهَ إِنَّما ينفع صاحبَه، ولا عَلاقة له بدعائك، ولِـهَذا كَانَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ أَنَّ التَّوسُّلَ بجاه النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُحرَّم؛ لأنَّه لا وسيلة في ذَلِك.

الفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ: أَنَّ أكملَ صِفَةٍ لصَلَاتِنا عَلَى النَّبي ﷺ هي هَذِهِ؛ لِأَنَّ النَّبي ﷺ علمَّ أمتَه أكملَ ما يَكُون، لكنْ هل هي وَاجِبَة؟

فالجَوَاب: لا؛ لأَنَّنا ذَكَرْنَا أَنَّ قَوْلَهُ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ**» للإِرْشَاد، لأَنَّه جوابٌ عن سؤال، فَإِنْ جَاءَ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو دَلِيلٌ خارجي.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل تجبُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؟

الجَوَاب: قيل: إِنَّهَا تجب فِي الْعُمْرِ مَرَّةً، وقيل: لَا تَجِبُ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: وهل تجب إِذَا ذُكر اسمُه عندك؟

فالجَوَاب: أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا لَا تجب، وأنَّها سُنَّة، والظَّاهِر مِن الأَدِلَّة أنَّها تجب، أي تجب الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عند ذكرِه؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ المشهور أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ للنبي ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ. قُلْتُ: آمِينَ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٦٤٦).

والدُّعَاءُ لَا يَكُونَ عَلَى تركِ سُنة، وَإِنَّمَا يَكُون عَلَى تَرك وَاجِب، وَهَذَا الْقَوْل هو الأرجح: أَنَّهُ إِذَا ذُكر النَّبي ﷺ عندَك فلا بُدَّ أَنْ تصَلِّيَ علَيْه.

لكن لَوْ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فإنَّه يكفي أَنْ تقول: آمين؛ لِأَنَّ قولَ القَائِل: قال النَّبِيُّ ﷺ دُعَاء، فَإِذَا كَانَ دُعَاءً، فإنَّه يكفي أَنْ تُؤَمِّن علَيْه؛ لِأَنَّ الْمُؤَمِّنَ عَلَى الدَّاعي داعٍ، بِدَلِيلِ قولِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في قصة موسى حين قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨]، ولم يَقُلْ: أُجيبت دعوتُك، وذكر العُلَمَاءُ أَنَّ موسى كَانَ يدعو، وَكَانَ هارون يُؤَمِّن، فقال اللهُ تَعالَى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩]، وأخذوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ المؤمِّنَ عَلَى الدُّعَاءِ في حكم الدَّاعي.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل يمكن أَنْ نأخذَ مِن الحَدِيث مَشْرُوعِيَّةَ تكرارِ الثَّناءِ عَلَى الله؛ لِأَنَّ النَّبي ﷺ ذكر: إِنَّك حميدٌ مجيدٌ مرتين؟

الجَوَاب: نعم يمكن، لَا سِيَّمَا إِذَا اختلف الجِنْسُ والنَّوع، فهنا «اللَّهُمَّ صَلِّ» لَيْسَت هي «اللَّهُمَّ بَارِكْ»، وقَوْله: «**إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» مِن بابِ التوسُّلِ إِلَى الله بأسمائه.

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل يَجُوز أَنْ نتوسلَ بربوبيةِ الله لشَيْءٍ معيَّن؟

الجَوَاب: نعم يَجُوز، فَإِنَّ النَّبي توسَّل إِلَى اللهِ تَعالَى بربُوبِيَّتِه للملائكة فقال: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ**»[1]، ولـم يَقُلْ: اللَّهمَّ أسألُك بجبريل ومكائيل، أو بعمل جبريلَ ومكائيل، بل توسَّل إِلَى الله بربوبيته لهم، والربوبيةُ صِفةٌ مِن صِفَات اللهِ تَعالَى.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المُسَافِرين، باب الدُّعاء في صلاة اللَّيل، رقم (٧٧٠).

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل يُفهم مِن كونِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبي سُنة أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا تشهَّد، ولم يُصَلِّ عَلَى النَّبي فصَلَاتُه صَحِيحه؟

الجَوَاب: نعم، هَكَذا ذَكَرَ أكثرُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ في الصَّلَاة سُنة، لكن مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا رُكن، ومِنهم مَن قال: إِنَّهَا وَاجِبَة؛ لكنْ لَيْسَ هُناكَ دَلِيلٌ يطمئنُ إِلَيْه العَبْد، بحيثُ يبطلُ صَلَاةَ الإِنْسَانِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبي ﷺ.

١٢٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[1].

■ **وفي لفظ لمسلم: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ،...»**[2]**، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ.**

الشَّرْح

هذا البابُ هو بابُ التَّشَهُّد، والتَّشَهُّد في الصَّلَاة نوعان: تشهدٌ أول: وهو الَّذِي يَكُونُ فِي وسط الثَّلاثيةِ والرباعية، وتشهدٌ أخير: وَهُوَ الَّذِي يَلِيهِ السَّلام، لكنَّه لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى التَّشَهُّد، إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاة تَشَهُّدَان.

قَوْله: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ**»، أي يدعـو دُعَاءَ مَسْأَلَة، أي يَسْأَل الله.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التَّعَوُّذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب ما يستعاذ منه في الصَّلاة، رقم (٥٨٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصَّلاة، رقم (٥٨٨)، واللفظ له.

وقولُه: «فِي صَلَاتِهِ»، لم يُبَيِّنْ في هَذَا اللَّفْظِ أين مكانُ هَذَا الدُّعَاء، لكنَّه في اللَّفْظ الآخَرِ بيَّن أَنَّ ذَلِكَ فِي التَّشَهُّد؛ ولم يُبَيِّنْ أيضًا فِي هَذَا اللَّفْظِ أي التَّشَهُّدين، ولكنْ جَاءَ فِي لَفْظٍ آخَرَ في مسلم: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ**»[1]، فتعيَّن أَنْ يَكُونَ هَذَا الدُّعَاءُ في التَّشَهُّد الأخيرِ الَّذِي يليه السَّلام.

قَوْله: «**يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»، اللَّهُمَّ: قال المُعْرِبُون: إِنَّهَا مُنادى، وَإِنَّ أصلَها يا الله، وحُذِفت الياءُ وعُوِّض عنها الميم، وأُخرتِ الميمُ تبركًا بالبدءِ باسمِ الله عَزَّوَجَلَّ.

وقَوْله: «**أَعُوذُ بِكَ**»، أي أَعْتَصِمُ وأَلْتَجِئُ إليك مِن هَذِهِ الأُمُورِ: مِن عذابِ الْقَبْر، وعذابُ الْقَبْر ثابتٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وإنْ شئتَ فقل: والإجماع.

أَمَّا الْكِتَابُ، ففي مثلِ قولِ الله تَعالَى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشيًّا في القُبُورِ قبلَ قِيامِ السَّاعة، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقَال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، وفي قِراءَة: (**ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**)[2]، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الله تَعالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ (ال) للعَهْد الحَاضِر، أي هَذَا الْيَوْمُ الحَاضِر، وَهَذِهِ كالصَّرِيح في إِثْباتِ عذابِ الْقَبْر، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب ما يستعاذ منه في الصَّلاة، رقم (٥٨٨).
(٢) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ص:٣١٥).

أَمَّا السُّنَّةُ فقد تواتر عَنِ النَّبي ﷺ إِثْباتُ عذاب الْقَبْر.

وأَمَّا ما هو إجماع، فَإِنَّ الْمُسْلِمينَ كُلَّهم قد أجمعوا عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ هَذَا الذِّكْرِ فِي الصَّلَاةِ، وهو التعوُّذ مِن عذاب الْقَبْر، وكيف يُمْكِنُ أَنْ يتعوَّذَ الإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ لَا وُجُود له؟! فإنكارُ عذابِ الْقَبْر إنكارٌ لإجماع الْمُسْلِمينَ.

لكن قد يَسْأَل سَائل: عذابُ الْقَبْرِ هل هو مَحْسُوسٌ، أو هُو عذابٌ غيبيٌّ؟

الجَوَاب: هو عذابٌ غيبي، لكنْ قد يُطلِعُ الله تَعالَى مَن شاءَ مِن عباده علَيْه، وإلا فالأَصْلُ أَنَّهُ غيبي، ومما أَطْلَعَ اللهُ عَلَيْهِ بَعْضَ عبادِه الْقَبْران اللذان مرَّ بهما الرَّسُولُ ﷺ وقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»[1]، فأطلعَ النَّبيَّ ﷺ عَلَى عذاب صاحِبَيْ هَذَيْن القَبْرَيْن.

وكما يُذكر مِن حِكايَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِن مُشاهدةِ نارٍ تنْبَعِث مِن القَبْر، أو سماعِ أصواتٍ مُزعجةٍ تَدُلُّ عَلَى التَّعذِيب، لكنَّ هَذَا لا يُوثَق بِه، إِنَّما الثِّقَة بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَاب والسُّنَّةِ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: وهل عذابُ الْقَبْرِ دائمٌ، أو منقطع؟

الجَوَاب: إِذَا كَانَ المعذَّبُ كَافِرًا؛ فعذابُه دائمٌ غيرُ منقطع، وَإِنْ كَانَ المعذَّبُ مِن العصاةِ دونَ الكَافِرِينَ؛ فَإِنَّهُ مِن الجائز أَنْ ينقطعَ، أو يَدُوم، ولكنَّه لَيْسَ كعذابِ الكَافِرِ في قبرِه، فَإِنَّ ذَلِكَ دائم، وأَمَّا عذاب غير الكَافِرِ فقَدْ يدومُ، وَقَدْ لا يدوم.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل العذابُ يَكُون عَلَى الْبَدَنِ، أَوِ عَلَى الرُّوح؟

الجَوَاب: عَلَى الرُّوح، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ولذَلِك لو نُبشت القُبُورُ لوُجِدت

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوُضُوء، باب ما جَاءَ في غسل البول، رقم (٢١٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدَّلِيل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

أجسَامُ المعذَّبين عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ لم تتأثر، لكنْ قال شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ، أَوْ عَذَابٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً، أَوْ مُعَذَّبَةً وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا، فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ، ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى أُعِيدَتِ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا، وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». لكنَّ الأَصْلَ أَنَّهُ عَلَى الرُّوح.

فهذ هو النَّوعُ الأولُ مِن العذاب، وهو عذابُ الْقَبْر.

والثَّانِي قال: «**وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، أي جهنمَ -أعاذنا الله وإياكم مِنها- وعذابُ النَّارِ لا تسأل عنه، ولا عن فظاعتِه، وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن أصنافِه ما يَرُوعُ النفوسَ، ويقطعُ القُلُوب، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّساء:٥٦]، وقال تَعالَى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، وقال تَعالَى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [مُحَمَّد:١٥]، وقال اللهُ تَعالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السَّجْدة:٢٠]، كُلَّمَا ارتفعوا وطمِعوا أَنْ يخرجوا مِنها أُعيدوا فيها، وَهَذَا أشدُّ نكالًا، لِأَنَّ كونَ الإِنْسَانِ لا يُمنَّى أَنْ ينجوَ مِن العذاب أهونُ مِن كونِه يُمنَّى ثم يُعاد.

إذن: فِي الْكِتَاب والسُّنَّة مِن عذاب النَّارِ ما يَقْتَضِي للعاقل أَنْ يَسْأَلَ اللهَ أَنْ يُعيذَه مِن عذاب النَّار.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٨٤).

ثم اعْلَم أَنَّ التَّعَوُّذَ مِن عذاب الْقَبْرِ وعذاب النَّارِ لا يُقتصر فِيهِ عَلَى اللسَان، بل إِذَا تعوذْت فافعل السَّبب، أَمَّا أَنْ تقول: أعوذُ بالله مِن عذاب جهنمَ، ومِن عذاب الْقَبْرِ وأنتَ تُمارسُ ما يَكُون بِه عذابُ الْقَبْر فَهَذَا خَطَأ، بل حاول أَنْ تفعلَ الأَسْبابَ الَّتِي تُنْجيك مِن ذَلِك.

أرأيتَ لَوْ قلت: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك ذُرِّيةً صَالِحَةً، ولم تتزوج، هَذَا دُعَاءُ سَفِيه؛ كذَلِك الَّذِي يَسْتَعِيذُ بِالله مِنَ عذاب النَّارِ، وعذاب الْقَبْر، لَا بُدَّ أَنْ يفعلَ الأَسْبابَ، ويَسْأَلَ اللهَ أَنْ ينجيَه، فيقبل الأَسْبابَ الَّتِي جَاءَ بها.

قَوْله: «**وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**»، المحيا أي الحياة، والمماتُ أي الموت وفِتْنَةُ المحيا أَنْوَاعٌ لا يُمْكِن أَنْ تُحصى أبدًا؛ لِأَنَّ إراداتِ الخَلق مُتنوعة، وأهواءهم مختلفة؛ فأحدُهم يُفتن بالنِّسَاء، وأحدُهم يُفتن بالمال، وأحدُهم يُفتن بالقُصور، فهي لا تُحصى، لكنَّها تدور عَلَى شيئين: شُبُهات وشهوات:

فالشبهاتُ أصلُها نقصُ الْعِلْم؛ فيلتبِس عَلَى الإِنْسَانِ الحقُّ بالبَاطِل، والشهواتُ أصلُها ضعفُ العزيمة؛ فلا يَكُون عند الإِنْسَانِ عزيمةٌ فيدعُ ما تشتهيه نفسُه إِذَا كَانَ فِي غضب اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

إذن: فِتْنَةُ المحيا ضابطُها: كلُّ ما يَصُدُّ عَنِ الله.

وفِتْنَةُ المماتِ قيل: إِنَّهَا الفِتْنَةُ الَّتِي تَكُون عند الموت، وقيل: إِنَّهَا الفِتْنَةُ الَّتِي تَكُون بعد الموت، ولوقال قَائِل: إِنَّهَا الفاتِنَتَانِ لَصَحَّ كَلَامُه.

والفِتْنَةُ عند الموتِ -أجارنا الله وإياكم- أَنْ يُحَالَ بين الإِنْسَانِ، وبينَ حُسْنِ الخاتمة، فتجدُه يسعى في الدُّنْيَا ويَرْكُض، ويذهب ويجيء، فَإِذَا حلَّ به الأجلُ أوقع اللهُ في قلبِه الشك، ومات عَلَى غيرِ إيمان.

وقد ورد أَنَّ الشَّيْطَان يَأْتِي إِلَى الإِنْسَان فِي هَذِهِ الحَالَ الحرجة، ويتمثل له صنمًا فيدعوه إِلَى عبادتِه، والإِنْسَان فِي مِثْلِ هَذِهِ الحال ما له نَفَس، ضَيِّقُ الصدر، شديدُ الألمِ الْقَلْبي والبدني؛ فَرُبَّمَا يَضِلُّ.

ولِـهَذا كَانَ الشَّيْطَانُ أشدَّ ما يَكُونُ حرصًا لإغواء بني آدمَ عند الموت؛ لأنَّها السَّاعةُ الحاسمة.

قال عبد الله بن أحمدَ بنِ حَنبل: حَضَرْتُ وفاة أبي أحمدَ، وبِيَدِي الخِرقة لأَشُدَّ لَحْيَيْه، فكان يَغْرَقُ ثم يُفِيق ويقول بيده: لا بَعْدُ، لا بَعْدُ. فَعَل هذا مِرارًا، فقلت له: يا أَبَتِ أَيُّ شَيْء ما يبدو منك؟ فقال: إن الشَّيْطَان قائمٌ بِحِذَائي عاضٌّ عَلَى أنامِلِه يقول: يا أحمدُ فُتَّنِي. وأنا أقول: لا، بَعْدُ، لا حَتَّى أموت[1].

نعم، والله فاتَه؛ فقد جَاءَتْ محنةُ الْقَوْلِ بخَلقِ القُرْآنِ فثبَت، ومَعْنَى بَعْدُ بَعْدُ: أي إِنَّ الإِنْسَانَ ما دامت روحُه في جسدِه فلا يأمنُ الفِتنة، فإِنَّ الإِنْسَانَ قد يَضِلُّ -والعياذ بالله- عند آخِرِ سَاعَة.

ولكنْ أبشِروا، أَنَّهُ متى صَدَقَتِ النيةُ مَعَ اللهِ، وصَلُحَ الْعَمَل؛ فلنْ يُخَيِّبَ اللهُ عبدَه أبدًا، لِأَنَّ اللهَ تَعالَى أكرمُ مِن عبدِه إِذَا عمِل له، قال النَّبِيُّ ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**»[2]، وَهَذَا كَلَامُ النَّبي ﷺ وهو حق، فاصدُقِ النيةَ مَعَ الله؛ يُيَسِّرْ لكَ حُسْنَ الخاتمة.

ولكنْ أبشِروا، أَنَّهُ متى صَدَقَتِ النيةُ مَعَ اللهِ وصَلُحَ الْعَمَل؛ فلنْ يُخَيِّبَ اللهُ عبدَه أبدًا، لِأَنَّ اللهَ تَعالَى أكرمُ مِن عبدِه إِذَا عمِل له، قال النَّبِيُّ ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي**

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص:١٨٦).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤).

الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»، وَهَذَا كَلَامُ النَّبي ﷺ وهو حق، فاصدقِ النيةَ مَعَ الله يُيَسِّرْ لكَ حُسنَ الخاتمة.

وقيل: إِنَّ فِتْنَةَ الممات ما يَكُون بعد الموت؛ لِأَنَّ النَّاسَ يُفتنون في قُبُورهم، يُسأَلُ الرَّجُلُ إِذَا دُفِن، وتولى عنْه أَصْحَابُه، يُقَال: مَن ربُّك؟ ما دينُك؟ مَن نبيُّك؟ فيُثَبِّتُ اللهُ تَعالَى الَّذِين آمنوا بالْقَوْل الثَّابت، ويقول المؤمن: ربي الله، وديني الإِسْلام، ونَبِيِّي مُحَمَّد، وأمَّا المُنافِقُ أو المرتابُ فيقول: لا أدري، سمعتُ النَّاس يَقولُون شيئًا فقُلته.

إذن: فِتْنَةُ المماتِ تشمل حالين: حالَ الإِنْسَانِ عند الاحتضار، وحالَ الإِنْسَانِ بعد الدفن فنتستعيذ باللهِ مِن الفِتنتين جميعًا.

قَوْله: «**وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»، المسيحُ الدَّجَّالُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وهو بالحاءِ المهملة، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ -عفا الله عنا وعنهم- أَنَّهُ المسيخ بالخاء، ولا يُقال: المسيح؛ لأنَّ المسيحَ هو عيسى بنُ مريم، ولكنَّ هَذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ، فكيف يقول أعظمُ الخَلق: المسيح. وأنتَ تقول: لا تَقُل المسيح، وقل: المسيخ؟ وَهَذَا مِن التَّنَطُّعِ المذمُوم، بل هو مسيح، لكنْ فرق بين المسيحِ عيسى بنِ مريم والمسيح الدَّجَّال.

المسيحُ الدَّجَّالُ كذاب، يمسح الأَرْضَ بسُرعة، ويجول فِيهَا بسرعة، لكنَّه دجَّال، وعيسى بنُ مريمَ صادِق، رَسُولٌ مِن أولي العَزم، ثم الدَّجَّالُ يسمح الأَرْضَ بالسياحة، ولا يمسح ذا عاهةٍ إلا برئ بإذن الله، والفرقُ بَيْنَهُما وَاضِح، المهمُّ أنك تستعيذ مِن فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّال.

والدَّجَّالُ جمعُ داجِل، أو صيغةُ مُبالَغَةٍ مِن الدَّجَل لكَثْرَةِ دَجَلِه، والدَّجَلُ هو الكذبُ المُمَوَّهُ الَّذِي يظنُّ سَامعُه أَنَّهُ صِدق، والمسيحُ الدَّجَّالُ رَجُلٌ خبيثٌ يخرج

فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةً للإِنْسَان، فقيل: إِنَّهُ يَدَّعي أولًا أَنَّهُ نبيٌّ، ويتبعُه عَلَى ذَلِكَ مَن شاء الله، ثم يَدَّعي أَنَّهُ رب، وتكُون الفِتْنَةُ هنا؛ فيأمرُ السماءَ فتُمطر والنَّاسُ يشاهدون، ويأمرُ الأَرْضَ فتُنبت والنَّاسُ يشاهدون، فيقتُل الرَّجُلَ، ويمشي بين جَذْلَتَيْن مِن جسدِه، ثم يدعوه فيقوم حيًّا، وَهَذِهِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، لا يَشعر بها إلا مَن يُلامِسُها، أَمَّا مَن تُقرأُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ شَعَرَ بذَلِك يَقْشعِرُّ جلدُه، ولكنَّه كما قيل: لَيْسَ مَن رأى كمَن سمع.

لِهَذا أُمرنا أَنْ نستعيذَ بالله مِن فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّال، مَعَ أَنَّنا تعوَّذنا مِنْ قَبْلُ مِنْ فِتْنَة المَحيا، لكنْ نظرًا لِعِظَمِ فتنتِه؛ خُصَّ بالذِّكْر.

وقد أَخبر النَّبي ﷺ: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**»(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢).

ووصفه ﷺ لنا بأوصافٍ كَثِيرَة، فَهَلْ يُشرعُ لنا أَنْ نستعيذ بالله مِن هَذِهِ الأوصافِ الأَرْبَعةِ لِأَنَّ النَّبي ﷺ كَانَ يستعيذ مِنها؟

الجَواب: نعم، لقولِ الله تَعالَى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:٢١]، ولأَنَّه في ألفاظٍ أُخرى قال: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب في بقية من أحاديث الدَّجَّال، رقم (٢٩٤٦).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجَّال وصفته، رقم (٢٩٣٧).
(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التَّعَوُّذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، مسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصَّلاة، رقم (٥٨٨)، واللفظ له.

مِنْ فَوَائِدِ الحَدِيثِ:

الفَائِدَةُ الأُولَى: مَشْرُوعِيَّةُ الاستعاذةِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ، والدَّلِيل مِن السُّنةِ الْقَوْلية والْفِعْلية: الْفِعْلية أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يدعو بها في صَلَاتِه.

والْقَوْلية أَنَّهُ أمَر بذَلِك، ثم هَذَا الأَمْرُ هَلْ هُوَ عَلَى سَبِيل الوُجُوبِ، أو عَلَى سَبِيل الاسْتِحْبَاب؟ لِلْعُلَمَاءِ في هَذَا قولان: الأَوَّل الوُجُوب، والثَّانِي الاسْتِحْبَاب، والْقَوْلُ بالوُجُوبِ قولٌ قوي؛ لِأَنَّ النَّبي ﷺ أَمَرَ بِه، ولأنَّ هَذِهِ أمورٌ عظام، يَنْبَغِي للإِنْسَان أَنْ يدعوَ اللهَ تَعالَى بِعِصْمَتِه مِنها.

ولِـهَذا أمر طاوسُ -وهو أحدُ التَّابعين- ابنَه لـما صَلَّى، ولـمْ يَسْتَعِذْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ، أَمَرَه أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاة[1]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّها عندَه وَاجِبَة، وَأَنَّ مَن تعمَّد تَرْكها بَطَلَتْ صَلَاتُه، ولا بُدَّ مِن الإِعَادَة.

ووُجُوبُها أقوى مِن وُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبي ﷺ في التَّشَهُّد، ومَعْلُومٌ أَنَّ المشهورَ عِند الحنابلةِ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ في التَّشَهُّد ركنٌ مِن أَرْكَان الصَّلَاة، لا تصح الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا، لكنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبي ﷺ في التَّشَهُّد لم يأتْ بها مِثل ما أَتى بِهَذَا، أي لم يَقُلِ النَّبي ﷺ: إِذَا تشهد أحدُكم فليُصَلِّ عليَّ، لكنْ هنا قال: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بالله**».

إذن: مِن فَوائِدِ الحَدِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ التَّعَوُّذِ بالله مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ.

الفَائِدَةُ الثَّانِيةُ: رحمةُ النَّبي ﷺ بأُمتِه، حيثُ أمرَهُم أَنْ يستعيذوا بالله مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ، رحمةً بِهِم، وخَلاصًا منها.

---

(١) هذا الأثر أخرجه مسلم بلاغًا: كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب ما يستعاذ منه في الصَّلاة، عقب حديث رقم (٥٩٠).

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبي ﷺ في حاجةٍ إِلَى أَنْ يُعِيذَه اللهُ مِن هذا، وجه ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يستعيذ بالله مِنها، ولولا أَنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى ذَلِك، لكان فعلُه نوعًا مِن العَبَثِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ مِنه.

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: إِثْباتُ عذابِ الْقَبْر، إذ لَوْ لَمْ يَكُنْ ثابتًا لَـمَا كَانَ فِي حاجةٍ للاستعاذةِ مِنه.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هل لَا بُدَّ في عذاب الْقَبْرِ مِن أَنْ يُدفنَ الإِنْسَان، أو متى مات، وسلَّمه أهلُه إِلَى عالَمِ الآخِرةِ ثَبَتَ العذاب؟

الجَوَاب: أَنَّهُ إِذَا مات وسلَّمَه أهلُه إِلَى عالَمِ الآخِرَةِ حصل العذابُ أو النعيم، وما دام بين أيديهم فَإِنَّهُ لا يُعَذَّب؛ لأَنَّه لم يدخلْ عالمَ الآخِرة.

مَسْأَلَة:

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل الوسوسة الَّتِي تأتي للإِنْسَانِ في قلبه، تُخرجه من الإِيمَان؟

الجَوَاب: لا، الوسوسةُ الَّتِي تأتي الإِنْسَانَ في قلبِه في الخالقِ، أو في الرسلِ، أو في الكُتُب، إِنْ قبِلَها واستقرَّ علَيْها؛ فهي كُفرٌ ورِدَّة، وَإِنْ نَبَذَها، وفرَّ مِنها، فلا تضرُّه شيئًا، سواءٌ عند المماتِ، أو قبْلَه.

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: ما تقولون فيمَن يقول: إِنَّ أَغْلَبَ مَن سيتبع المسيح الدَّجَّال هُم مِن الصوفية؟

الجَوَاب: لم نسمعْ أَنَّ مَن سيتبعُ الدَّجَّالَ الصوفية، ولكنْ أكثر مَن يتبعُ الدَّجَّالَ هُم الْيَهُود، فيتبع الدَّجَّال سبعون ألفًا مِن يهود أصفهان في إيران[1]، ويتبعُه أناسٌ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب في بقية من أحاديث الدَّجَّال، رقم (٢٩٤٤).

مِن كلِّ مكان سيدخلُه، إلا مكانين هما مكةَ والمدينة[١].

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: إِثْباتُ عذابِ النَّار، والنَّارُ هي الدَّارُ الَّتِي أعدَّها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأعدائه، وَهِيَ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ نارٌ وَاحِدَة؛ ومِن النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا ناران: نارٌ للكَافِرين، ونارٌ للعصاة مِن المُؤمنينَ، والصَّوَابُ أنَّها وَاحِدَة، لكنَّ عذابَها يَخْتَلِف، فَإِنَّ عذابَ الكَافِرينَ أَشَدُّ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هل النَّارُ موجودةٌ الآن؟

الجَوَاب: نعم، بِدَلِيلِ الْكِتَابِ والسُّنَّة، أمَّا في الْكِتَاب، فمِثلُ قولِ الله تَعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]؛ لِأَنَّ الإعداد يَقْتَضِي التهيئة، والفِعل وقَعَ بصيغة الماضي الدَّالِّ عَلَى الوجود، فهي موجودةٌ في نصِّ القُرْآن.

أيضًا موجودةٌ بدلالةِ السُّنَّة، فَإِنَّ النَّبي ﷺ عُرضتْ عَلَيْهِ النَّار، ورأى فِيهَا عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ[٢]، ورأى فِيهَا امْرَأَةً عُذبتْ في هِرَّةٍ حَبَسَتْها[٣]، والهِرَّةُ هي القِطَّة، ولها أَسْمَاءٌ كَثِيرَة، مِنها الهِرُّ، والقطُّ، والبَسُّ، والسِّنَّوْر.

إذن: النَّارُ موجودةٌ الآن بدلالةِ الْكِتَاب والسُّنَّة.

لكن: هل النَّارُ تُعدَم أَمْ هي باقية؟

الجَوَاب: لا تُعدَم، بل هي باقيةٌ أبدَ الآبدين، وَقَدْ ذكر اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى التأبيدَ في ثلاثِ سُور مِن القُرْآنِ:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدَّجَّال المدينة، رقم (١٨٨١)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب قصة الجساسة رقم (٢٩٤٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العمل في الصَّلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصَّلاة، رقم (١٢١٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم: كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة، رقم (٢٢٤٢).

السُّورَةُ الأُولى: سُورَة النِّسَاء، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النِّسَاء:١٦٨-١٦٩]، ويلزم مِن تأبيدِ خلودِ مَن فِيهَا أَنْ تَكُونَ هِيَ مُأَبَّدَة.

السُّورَة الثَّانِية: سُورَة الأحزاب، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

السُّورَة الثَّالِثة: سُورَة الجن، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

والعجبُ أَنَّ بَعْضَ علماءِ السُّنةِ قال بِعَدَمِ التأبيد، لكنَّ هَذَا قولٌ لا نَسْتَطِيع أَنَّ نَقُول: إِنَّهُ ضَعِيف، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَقُول: إِنَّهُ بَاطِلٌ؛ لأَنَّه مخالفٌ لصريح القُرْآن، وأمَّا التَّعليلاتِ الَّتِي عَلَّلوا بها بِأَنَّ رحمةَ اللهِ سبقتْ غضبَه، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا أَقْيِسَةٌ في مقابلة النص، والقياسُ في مقابلة النص مرفوضٌ ومدفوع.

نقول: نعم، رحمةُ اللهِ سبقتْ غضبَه لا شك، لكنَّ عدلَه قائم، وتعذيبُ الكَافِرِينَ أبدَ الآبدين مِن باب العَدل؛ لِأَنَّ هؤُلاءِ أَفْنَوْا حياتَهم الدُّنْيَا في تكذيب اللهِ عَزَّوَجَلَّ والاستكبارِ عن عبادتِه؛ فكان مِن العدل أَنْ تَكُونَ آخرتُهم كلُّها كَدُنْيَاهم.

الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: خطورةُ الفِتْنَةِ في الحياةِ والممات، وجه ذَلِكَ أَنَّ النَّبي ﷺ وهو المعصوم كَانَ يستعيذُ مِنها، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تأثيرِ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وأشدُّ ما يَكُون خطرًا شيئان: النِّسَاء، وما يُفتح علَيْنا مِن زهرةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[1]، وأخبر ﷺ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، رقم (٤٨٠٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النِّساء وبيان الفتنة بالنِّساء، رقم (٢٧٤٠).

عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا»[١]، فالمالُ والنِّسَاءُ هما أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِن فِتْنَةِ المحيا.

الفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: خطرُ فِتْنَةِ الممات، حيثُ استعاذ مِنها النَّبي ﷺ، ونحن نعلمُ علم اليقين أَنَّهُ ﷺ سيُختم له بأسعد ما يَكُون، لكنْ لخطورة الأَمْرِ استعاذ ﷺ مِن فِتْنَةِ الممات.

الفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: خطرُ فِتْنَةِ المسيح الدَّجال، ووجهُه أَنَّ النَّبي ﷺ استعاذ مِنه، ثم إِنَّهُ أنذرَ أُمَّتَه، وحَذَّرَها مِن فتنتِه، وما مِن نبي إلا حَذَّرَ قومَه مِن فتنتِه[٢].

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تُنْذِرُ به الرسلُ وهو لا يَكُون إلا فِي آخِرِ الزَّمَانِ؟ أهذا لاحْتِمَال أَنْ يخرجَ في حياتِهم أَمْ ماذا؟

فالجَوَاب: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: لاحْتِمَالِ أَنْ يخرجَ في حياة الأَنْبِيَاء، أو بعد موتِهم ما دام دِينُه قائمًا.

وقال آخَرون: إِنَّ هَذَا لنْ يَكُون؛ لِأَنَّ فِتْنَةَ المسيحِ الدَّجَّال فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لكنْ للتَّنويهِ عن شَرِّه، والخَوْفِ منه، وتَعْظِيمِ شأنِه أَنْذَرَتْ به الرُّسل.

ورأيٌ ثالثٌ يقول: فِتْنَةُ المسيحِ الدَّجَّال لَيْسَت مِن باب إضافةِ الفِتْنَةِ إِلَى الشَّخْص، بل إِلَى النَّوع، وَإِنَّ المُرَادَ مِن كل فِتْنَةٍ تُشبه فِتْنَةَ الدَّجَّال، وَقَدْ أخبر النَّبي ﷺ أَنَّهُ سيَكُون في أُمتِه دجَّالون[٣]، فقال: إِنَّ المُرَادَ بالدَّجال هنا النَّوعُ لا الشَّخْص،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزَّكَاة، باب الصدقة على اليتامى، رقم (١٤٦٥)، ومسلم: كتاب الزَّكَاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم (١٠٥٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب المناسك، باب دور مكة، رقم (٤٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإِسْلام، رقم (٣٦٠٨)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب إذا توجه المسلمان بسيفيهما، وباب لا تقوم السَّاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (١٥٧).

وحِينَئِذٍ يَصِحُّ أَنْ يُنْذِرَ به الرسلُ السَّابِقون؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ الدَّجَّالَ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي أي أُمَّة.

لكنَّ الأقربَ -والله أعلم- أَنَّ فِتْنَةَ المسيحِ الدَّجَّالِ مِن باب إضافةِ الشَّيء إِلَى المُعَيَّنِ بشَخْصِه، وَأَنَّ المُرَادَ به الدَّجَّالُ الَّذِي سيَكُون فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لكنَّ إنذارَ الأُممِ فِيهِ مِن باب تَعْظِيمِ شأنِه، وأنْ يَحذر البشرُ مِنه.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: من أين سيَأْتِي الدَّجَّال؟

الجَوَاب: سيَأْتِي مِن النَّاحية الشماليةِ الشرقية، من طريقٍ يتخلل الجبال بين الشَّام والعراق؛ وأكثرُ أتباعِه الْيَهُود، ويتبعُه مِن يهود أَصْفَهَانَ في إيرانَ سبعون ألفًا.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: كم سيبقى في الأَرْض؟

فالجَوَاب: أخبر النَّبي ﷺ أَنَّهُ يبقى أَرْبَعينَ يومًا[1]، الْيَوْم الأَوَّل كَسَنَةٍ، والثَّانِي كَشَهْر، والثَّالِث كأُسْبوع، وبقية الأَيَّام عادية، فيَكُون بقاؤه أَرْبَعَمِئَةٍ وأَرْبَعَةٍ وثَلاثِين يومًا، هَذِهِ الأَيَّامُ أيامٌ حقيقية.

وزعم بَعْضُ العُلَمَاءِ الَّذِين بضاعتُهم مُزْجَاةٌ في عِلم الحَدِيث، وقَالُوا: إِنَّ الْيَوْمَ الأولَ كسَنَةٍ مِن شِدَّتِه، والثَّانِي كشَهرٍ لِأَنَّ الشِّدةَ تَخِفُّ، والثَّالِثُ كأسبوعٍ لأنَّها تَخِفُّ أيضًا؛ وَلَيْسَ المُرَادُ المُدَّةَ المَعْلُومة.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قِصَرِ عِلم هَذَا القَائِل في الحَدِيث، وذَلِك أَنَّ النَّبي ﷺ لـما حَدَّث الصَّحابَةَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»[2]، وَهَذَا يَدُلُّ دلالةً وَاضِحةً عَلَى أَنَّهُ طويلٌ عَلَى

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجَّال وصفته، رقم (٢٩٣٧).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجَّال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

مِقْدَار السَّنَة، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ هَذَا الجاهلُ: إِنَّ المُرَادَ بِذَلِكَ طولُ الْيَوْمِ مِن شِدَّة المَشَقَّة؛ لِأَنَّ الحَدِيثَ صريح.

ومِن الحِكمة أَنَّ اللهَ تَعالَى أَنْطَق الصَّحابَةَ أَنْ يَسْأَلوا النَّبي ﷺ: هل تكفيهِم فِيهِ صَلَاةٌ وَاحِدَة؛ لِأَنَّ هَذَا حَلَّ إِشْكَالًا في عصرِنا الحاضِرِ في المناطق القطبيةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْيَوْمُ سِتَّةَ أشهُر، حيثُ نَقُول لهؤُلاءِ في الصَّلَاة: اقدُروا لـها قَدْرَها، صَلُّوا صَلَاةَ ستةِ أشهُرٍ، ولا تعتبروا بالآفاق -طُلُوعِ الشَّفَقِ، أو غُرُوبِه- أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: ماذا يَدَّعِي الدَّجَّالُ، وماذا يصنع؟

الجَوَاب: قيل: إِنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ نبيٌّ أولَ ما يَظهر، حَتَّى يتبعَه رِعَاعُ النَّاس انتقل إِلَى دعوةٍ أكبرَ، أَنَّهُ رَبٌّ، ثم إِنَّ اللهَ تَعالَى يُمكِّنُ له في أمورٍ مِن أُمور القُدرة، حيثُ إِنَّهُ يَأْتِي القومَ فيدعوهم إِلَى عبادتِه فيَأْبَوْن؛ فيُدبر عنهم فتصبح أَرْضُهم قاحلةٌ لَيْسَ فِيهَا نباتٌ، ولا تُدِرُّ علَيْهم مواشيهم، فيُصْبِحُون مُمحِلين.

ويَأْتِي إِلَى القوم ويدعوهم إِلَى أَنَّهُ ربٌّ فيُؤمنون به؛ فيأمرُ السماءَ فتُمطر، والأَرْضَ فتُنبت، حَتَّى تعودَ علَيْهم سَارِحَتُهم أوفرَ ما تَكُون لحمًا، وأغذَرَ ما تَكُون لبنًا[1]، وَهَذِهِ فِتْنَةٌ عَظِيمَة، لا سِيَّمَا بين البادِيةِ رعاةِ الغَنم.

ومِن فتنتِه أيضًا أَنَّهُ يَأْتِي له شابٌّ ويقول: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّك أنتَ المسيحُ الدَّجَّالُ الَّذِي أخبرنا عنك رَسُولُ الله ﷺ، فيقتلُه ويجعلُه قطعتين ويمشي بَيْنَهُما، ثم يأمر هَذَا الَّذِي قُطع قطعتين أَنْ يقومَ فيقومُ يتهللُ كأن لَمْ يَكُنْ بِهِ غُلف[2]، لِـهَذا استعاذ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجَّال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، باب فتنة الدَّجَّال، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج، ومأجوج، رقم (٤٠٧٧).

النَّبي ﷺ من فتنتِه، وأمر أُمَّتَه أَنْ يستعيذوا بالله مِن فتنتِه، أعاذنا الله وإياكم مِنه.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: كَيْفَ تَكُون مِيتتُه؟

الجَوَاب: تَكُون مِيتتُه بِأَنْ ينزلَ عَلَيْهِ المسيحُ الصَّادقُ عيسى بنُ مريم، ينزل عند المنارةِ البيضاءِ بِدِمَشْقَ، ولا يحل لكَافِرٍ يجد نفَسه أي ريحَ نفسِه ألا مات، فيدركُ الدَّجَّالَ بعد أَنْ يَهْرُبَ مِن عيسى عند باب لُدٍّ، وَهِيَ قريةٌ في فَلسطين، وَهِيَ الآن تحت احتلال الْيَهُود، فيقتلُه وتكُون نِهايَةُ المسيحِ الدَّجَّال[1].

الفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ: الأَمْرُ بالاستعاذة بالله مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ، لقولِه: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ**»، فيجتمع في هَذَا السُّنَّة الْفِعْلية والْقَوْلية: الْفِعْليةُ هي أَنَّ النَّبي ﷺ يفعل ذَلِك، والْقَوْليةُ هي أَنَّهُ أمَر.

واختلف العُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ: أهُوَ للوُجُوبِ أَمْ للاسْتِحْبَاب: فقال بَعْضُ العُلَمَاء: إِنَّه للوُجُوب، أي يَجِب أَنْ يستعيذَ بالله مِن أَرْبَع.

وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بعيدًا مِن الصَّوَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ هو الصَّوَابَ؛ لِأَنَّ النَّبي ﷺ أمر بذَلِك، وفَعَلَه بنفسِه، ولأنَّ هَذِهِ أمورٌ خطيرة، يَنْبَغِي للمرءِ أَنْ يلجأَ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الخلاص مِنها، فالْقَوْلُ بالوُجُوب قولٌ قويٌّ، ولكن هل نأمرُ مَن لم يأتْ بِه في صَلَاتِه بالإِعَادَة؟

الجَوَاب: إِنْ نفعلْ فقدَ فعلَه لنا إِمامٌ، وهو طاوُس، وَإِنْ لم نفعلْ فقد تَركه لنا أئمة، وهُم أكثرُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الذِّكْر لَيْسَ بوَاجِب.

الفَائِدَةُ العَاشِرَةُ: أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ يَكُون في التَّشَهُّد الأخير، كما جَاءَ ذَلِكَ فِي أحد ألفاظ صَحِيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجَّال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

الفَائِدَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَلَّا يلجأَ الإِنْسَانُ عند الشدائدِ إِلَّا إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سواءٌ كانتْ هَذِهِ الشدائدُ واقعةً، أَمْ مُتَرَقَّبَة، لقولِه: «**فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ**».

الفَائِدَةُ الثَّانِيةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ملجأُ كُلِّ خائف، ولِهَذا قال النَّبِيُّ ﷺ وهو يوصي ابنَ عمِّه عبدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١).

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: هُناكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يُنكرون وُجُود الدَّجَّال، ويَدَّعون بِأَنَّ الأَرْضَ قد اعْتَشبت، ولا يوجدُ أثرٌ لِهَذا الدَّجَّال، وأخذوا يتأولون أحاديثَ الدَّجَّالِ المتواترةِ بأنَّها عبارةٌ عَنِ الشَّر والفَساد.

نقول: الدَّجَّالُ يُخْلَق في وقتِه، وَلَيْسَ هو ابنَ صَيَّادٍ الَّذِي وُجِد بعد النَّبي ﷺ؛ لِأَنَّ ابنَ صياد احتجَّ عَلَى مَن قال له: إنَّك أنتَ الدَّجَّال، فقال: أنا متجهٌ إِلَى مكة، وأنا سَاكنٌ في المدينة، والدَّجَّالُ لا يدخل مكةَ، ولا المدينة(٢).

١٢٨ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب، رقم (٢٥١٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر ابن صياد، رقم (٢٩٢٧).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّساء:١٣٤]، رقم (٦٩٥٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدُّعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٥).

الشَّرْح

قَوْله: «**عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي**»، السَّائلُ أفضلُ سَائلٍ يَسْأَلُ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو أبو بكر، والمسئولُ أفضلُ مجيبٍ مِنْ بَنِي آدَمَ وهو الرَّسُول ﷺ، والْعَمَلُ أفضلُ عملٍ صالحٍ، وهو الصَّلَاة؛ فَإِذَا عرفتَ هَذَا تبين لك مِقْدَارُ هَذَا الدُّعَاء.

«**عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي**»، أي أدعو به اللهَ في صَلَاتي.

ولو قال قَائِل: أَلَا يَجُوز أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ هنا بمَعْنَى الدُّعَاء؟

فالجَوَاب: لا؛ لأَنَّه قال: أدعو بِهِ فِي صَلَاتِي، ولو أَرَادَ الدُّعَاءَ لقال: أَدْعُو بِهِ فِي دعائي، فالصَّلَاةُ هنا قطعًا هي الصَّلَاةُ المعروفة.

واعْلَم أَنَّهُ إِذَا جَاءَت الصَّلَاةُ في لفظ الشَّارع، فهي لِلصَّلَاةِ المعروفة، إلا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّها الدُّعَاء، فيُحمل عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الدَّلِيل.

قَوْله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»، الأَمْرُ هنا لَيْسَ للوُجُوب، ولكنَّه للإِرْشَاد، وكُلَّما جاءك أمرٌ في جوابِ سؤالٍ فهو للإِرْشَاد، وَلَيْسَ للوُجُوب إلا بدَلِيلٍ آخَر.

وعلى هذا: قولُ الصَّحابَة: «**عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟**» قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»، لَا يَصِحُّ أَنْ نستدلَّ بِهِ عَلَى وُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبي ﷺ؛ لأَنَّه جوابُ اسْتِفْهَام، فهو للإِرْشَاد، فَإِنْ دَلَّ دَلِيلٌ آخَرُ عَلَى وُجُوب الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عمِلْنا بِه، وإلا فهَذِهِ الصيغةُ لا تقتضي الوُجُوب.

وَهَذَا حَتَّى في كَلَامِنا، إِذَا قَالَ لَك قَائِل: أين بيتُ فلان؟ قلت: اذهب مَعَ هذا، فَهَذَا أمرٌ للإِرْشَاد، ولِـهَذا لَوْ سلك طريقًا آخَر، لا يُقَال: إِنَّهُ أَصَاب، فالأَمْرُ في جواب السؤالِ لَيْسَ للوُجُوب، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هناكَ دَلِيلٌ آخَرُ، وإلا فهو للإِرْشَاد.

لذَلِك أرشَدَه فقال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا**»، اللَّهُمَّ: أي يا الله، يقول المُحَلِّلُون: (اللَّهُمَّ) أصلُها يا الله، حُذفت ياءُ النِّدَاء، وعُوِّضَ عنها المِيم، ثم أُخرتِ الميم، لأنَّها لَيْسَت أصلًا في النِّدَاء، وللتبركِ بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ قبل أداةِ النِّدَاء، واخْتِيرَت الميمُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الحروف؛ لِـمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ مِنَ الضَّمِّ والجَمع، فكأنَّ السَّائلَ جمَع قلبَه عَلَى اللهِ فَقَالَ: اللَّهمَّ.

إذن: اللهُم إعرابُها: منادَى مبنيٌّ عَلَى الضم في محلِّ نَصْبٍ.

قَوْله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا**»، ظُلمُ النفسِ بِحَمْلِها عَلَى المَعَاصِي، أو مَنْعِها مِن الطَّاعة، وَكَانَ هَذَا ظُلمًا للنفس لِأَنَّ الوَاجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يرعى نفسَه حقَّ الرعاية، فلا تظنَّ أَنَّك مالكٌ لنفسِك، بل أنت ونفسُك مملوكان لله، فَإِذَا انتقصتَ شيئًا مِن حقِّها فقد ظلمتَها، فلو أَنَّ الإِنْسَانَ حبَس نفسَه عَنِ الأكل والشرب، لا استشفاءً، ولكن احتجاجًا؛ يَكُون ظالمًا لـها.

ولِـهَذا كَانَ مِن السَّفَه ما نسمع عنه مِن إضرابِ النَّاس عَنِ الطعام والشراب؛ لِأَنَّ عَدُوَّك إِذَا امتنعتَ عَنِ الطعام والشراب قال: زِدْ تُوفِّر لنا المال، وتَهلِك أنت، ولا فَائِدَة.

فالحَاصِل أَنْ نَقُول: إِنَّ ظُلمَ النفسِ يعود إِلَى أمرين: أولًا: حملُها عَلَى المَعَاصِي، والثَّانِي: منعها مِن الطَّاعات، وَرُبَّمَا يَشمل أيضًا أَنْ تُمنعَ حَقَّها مما أباح الله لـها مِن الطعام والشرابِ والتَّنَزُّهِ المُبَاح، وغير ذَلِكَ يَكُون ظلمًا.